Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتفرسة الغاضبة ما بين الرجل والصبي، يصرخ الصبي شاكياً أمره إلى هذا الفارس الذي أرسلته السماء لينقذه، فيقول له إن سيده يضربه لأنه يطالبه بأجره، وإن سيده لا يدفع له لأنه شديد البخل! هنا، يأمر دون كيشوت السيد أن يدفع للصبي أجره، وأن يحرره من الاستعباد والاضطهاد، فيوافق السيد راجفاً بعد الكثير من التردد لأن رمح دون كيشوت كان مصوباً إلى صدره تماماً، ويفكّ وثاق الصبي الذي كان مشدوداً إلى جذع سنديانة، ويمضي بالصبي إلى بيته من أجل أن يعطيه أجره، غير أن الصبي يصرخ بـ دون كيشوت الذي استدار مبتعداً راجياً إياه أن يذهب معهما إلى بيت سيده ليكون شاهداً وقوةً ضاغطة على سيده لكي يدفع له، وأنه إذا ما ذهب الآن، أي دون كيشوت، فإن سيده لن يدفع له ريالاً واحداً لأنه بخيل وكاذب. وهنا يلتفت دون كيشوت الالتفاتة الأخيرة نحوهما ويقول بثقة: لقد أمرته، فوعدني أن يعطيك حقك، وهذا يكفي، وإذا لم يدفع لك سأعود إليه مرة أخرى لأرغمه على الدفع بقوة ذراعي. ودونما إضافات أخرى أو ديمومة للحوار، يتابع دون كيشوت طريقه نحو مغامرة جديدة، وقد لفّ روحه الفرح، بينما يبقى الصبي حزيناً باكياً لأن سيده –وما أن ابتعد دون كيشوت قليلاً– حتى أعاد شدّ وثاقه إلى جذع السنديانة وانهال عليه مجدداً بالسوط وبقسوة أشد. ولحظتئذٍ تنهض المفارقة الجارحة فقد انتصر السيد على طيبة الصبي (التي حكم دون كيشوت لصالحها حالما سمع شكوى الاثنين) تماماً كما كانت المفارقة حادة وجارحة في أثناء ترسيم دون كيشوت فارساً في الخان، على أيدي صاحب الخان الفاسد والفتاتين الغانيتين، وكما خرج دون كيشوت فرحاً بالترسيم كفارس، يخرج من الغابة (كما سمّاها) فرحاً لأنه اعتقد أنه أنصف الصبي المظلوم من بطش السيد الإقطاعي.

هذه البدايات كانت عالماً مرئياً ومدركاً ما بين الواقع المدمى بالخطايا والأفعال الشريرة والتقابلات الحادة المؤذية، والواقع المحلوم الذي يريده دون كيشوت، تلك البدايات الموجعة هي التي قادت دون كيشوت إلى بيته وبلدته مرة ثانية لكي يأتي بما يحقق له صفات وطقسية الفارس الجوّال الحقيقي، فهو يريد رجلاً يقوم بمهمة حامل سلاحه، ولن يكون ذلك الرجل سوى جاره الريفي البسيط (سانشو) الذي سيمثل طوال زمن الرواية الواقع الإنساني بكل ما فيه من أطماع وشهوات ورغبات دنيوية باهتة لا علاقة لها بالأحلام النبيلة والرفعة والسمو، وبهذا تصير المفارقة أقرب في مسافتها الحارقة من خلال ما يمثله دون كيشوت من نبل وخيال وعفوية وبكورة، وما يمثله سانشو من واقعية عطبتها